

جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية: التقرير الدوري الثاني^(*)

شبكة رصد حقوق الإنسان في العراق

في تقريرها الذي صدر في ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤ أكدت منظمة لانسيت (Lancet) البريطانية أن عدد ضحايا الغزو الأمريكي - البريطاني للعراق وما حدث من عمليات عسكرية أثناء الاحتلال يتجاوز مئة ألف قتيل. وعزت المنظمة سقوط القسم الأكبر من هؤلاء الضحايا من جراء العمليات العسكرية للقوات المحتلة، وأشارت إلى أن ذلك لا يشمل العمليات الواسعة التي كانت تجري آنذاك في مدينة الفلوجة والمناطق المجاورة لها.

علماً أنه لا الحكومة العراقية ولا القوات المحتلة ولا الجهات الدولية الموجودة في داخل العراق قامت حتى الآن بأي جهد لإحصاء ضحايا غزو العراق، بل هي جميعها تسعى جاهدة إلى التقليل من التقديرات عن عدد الضحايا مستهينة بأرواحهم ودمائهم، في حين حاولت منظمات أخرى صرف الأنظار عن جرائم الحرب الأمريكية وجرائم الإبادة من خلال إلصاق كل ذلك بالمجموعات المسلحة في العراق. ومنظمتنا إذ تدين أي عمل إرهابي ضد المدنيين العزل ترى أن الاحتلال نشأت بوجهه مقاومة وطنية تمارس حقها المشروع وفق قواعد القانون الدولي، إلا أن هنالك عمليات غامضة بعيدة كل البعد عن مقاومة الاحتلال وحصلت بسببه وبسبب عدم القيام بواجباته بحسب القانون الدولي. لقد بذلت هيومان رايتس واتش (Human Rights Watch) جهداً كبيراً في إصدار تقرير من ١٥٠ صفحة لتسليط الضوء على كل عملية ضد مدنيين وألصقتها ضد المجموعات المسلحة (في محاولة للإحياء بأنها المجموعات المناهضة للاحتلال)، واتهمت هذه المجموعات بارتكاب جرائم حرب. ولسنا هنا بصدد تأكيد هذا الاتهام أو نفيه، لكن أي منصف لا بد من أن يتولد لديه تساؤل مشروع من هو المطالب أكثر من غيره

(*) نشرت شبكة رصد حقوق الإنسان في العراق تقريرها الدوري الثاني بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٥. وقد اختارت المستقبل العربي أن تنشر مقتطفاً من هذا التقرير تحت عنوان «جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية بما فيها الإبادة الجماعية». وللاطلاع على التقرير كاملاً، انظر: <http://www.mhrinet.org>.

باحترام الاتفاقيات الدولية، أهو هذه المجموعات الصغيرة أم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، ولا سيما الكبرى منها التي تتشدد باحترامها القانون الدولي والشرعية الدولية؟ ولماذا لم تبذل «هيومان رايتس واتش» أي جهد لتسليط الضوء على جرائم هذه الدول؟

نعم، لقد أصدرت بضعة تقارير عن التعذيب بعد انكشافه واعتراف قادة هذه الدول به، لكنها لم تتناول حتى الآن بصورة مفصلة جرائم الحرب الأمريكية، وهي ماثلة أمامنا يومياً.

فماذا نسمي إعدام الجرحى أمام كاميرات

التلفزيون؟ وماذا نسمي التمثيل بجثث القتلى

ورميها في الشوارع لتنهشها الكلاب؟ وتحت أي

وصف نضع قيام الجنود الأمريكيين بالتقاط

الصور لهذه الجثث وصور لأجزاء من جثث

بشرية والتعليق عليها بكل سخرية وتلذذ؟ أي

نوع من القيادة يمكن أن تصفها لنا «هيومان

رايتس واتش»، تلك التي تشجع جنودها على أن

يكونوا بمثل هذه الوحشية والبربرية وعدم

الالتزام بأية قوانين دولية؟ لقد قيل إن ما جرى في أبو غريب كان تصرفات فردية، وتوالت

بعدها المعلومات والصور التي تؤكد أن ما جرى كان بعلم القيادة ويحظى بموافقتها. وهذه

الوحشية والبربرية يعبر عنها في حالات أخرى في ما يؤكد أنها «سياسة» (Policy) وليست

تصرفات فردية، وإلا فبماذا نسمي استخدام مختلف أنواع الأسلحة الأشد فتكاً في تدمير

المنازل، وإبادة أحياء سكنية بالكامل، بما فيها من عشرات الأطفال والنساء والشيوخ بحجة

البحث عن إرهابيين؟ وماذا نسمي عدم السماح بدخول فرق الطوارئ الصحية لمعالجة

الجرحى؟ وبماذا تصف لنا «هيومان رايتس واتش» ملاحقة الجرحى إلى المساجد

والمستشفيات وإعدامهم بدم بارد؟ هل هنالك جرائم حرب أقطع من ذلك؟ إن كل ما أصدرته

«هيومان رايتس واتش» عن الأوضاع في العراق بعد الاحتلال لا يصل مجموعها إلى نصف عدد

صفحات التقرير المشار إليه، فلماذا هذا السكوت الذي يقوض صدقيتها وصدقية كل منظمة

تعمل في هذا الميدان؟ ثم لماذا تحاول إعفاء القوات المحتلة والسلطة التي تأتمر بأوامرها من تلك

الجرائم ومن الجرائم التي تنسبها «هيومان رايتس واتش» إلى منظمات مسلحة؟

ولعل الأهم من ذلك أن نتوجه بأسئلتنا تلك إلى الأمم المتحدة وإلى المفوضية السامية

لحقوق الإنسان: ماذا تسميان كل هذه الجرائم؟ إن عوائل الضحايا تلج عليكما بالسؤال: متى

ستتوجه اليهم لجان التحقيق الدولية لكي يكشفوا أمامها عن الجرائم التي ارتكبها هؤلاء وعدد

ضحاياهم، ولكي يتم توثيقها ونشرها دفاعاً عن ممارسات العالم المتحضر جداً!!

إن العراق لم يعرف قبل الاحتلال عمليات السيارات المفخخة أو الاعتداءات على أماكن

العبادة، عدا عمليتين أو ثلاث لما كان يسمى بالمعارضة المدعومة أمريكياً التي تمسك بمقالييد

الحكم الآن. ولم يكن السلاح مشاعاً بهذه الطريقة، ولم تكن في الدولة عشرات الميليشيات،

ولكل منها قوائم بأعدائها من الجهات الأخرى. لم يشهد العراق في كل تاريخه أن قتل شخص

ماذا نسمي التمثيل بجثث القتلى ورميها في الشوارع لتنهشها الكلاب؟ ولتحت أي وصف نضع قيام الجنود الأمريكيين بالتقاط الصور لهذه الجثث؟

شخصاً آخر بسبب عرقه أو طائفته. إن معظم العراقيين يؤكدون أن ما يجري من جرائم الآن هو من نتائج الاحتلال ومن جاء مع الاحتلال، فلم تكن مثل هذه الثقافة سائدة من قبل.

إن من أخطر ما ارتكبته قوات الاحتلال هي أنها حولت وحدات الجيش العراقي المنشأة حديثاً من جيش يفترض أن يدافع عن حدود البلاد وضد التهديدات الخارجية إلى جيش يوجه بنادقه إلى صدور أبناء البلاد، مستعيناً بقوى خارجية وممارساً أبشع الممارسات. وقد حولت وحدات الشرطة المنشأة حديثاً لحفظ أمن المواطنين إلى وحدات إرهابية تقتل وتعتقل كيفما تشاء بصورة عشوائية.

تفاخرت حكومة إبراهيم الجعفري بمشاركة وحدات تابعة لوزارة الداخلية والدفاع في جرائم الإبادة والمقابر الجماعية التي ترتكب بحق المدنيين، وضمن مناطق معينة بحجة البحث عن إرهابيين. ولم يخف وزير الدفاع سعدون الدليمي ذلك، بل إنه أكد بسبق إصرار إن قوات وزارته ستشارك في عام ٢٠٠٥ في عمليات تدمير مدن غرب العراق. ولقد هدّد الدليمي في مؤتمر صحفي بتاريخ ١٠/٩/٢٠٠٥ بأنه «بعد انتهاء العمليات في تلغفر سننتقل إلى ربيعة (على الحدود السورية) وسنجاو (شمال الموصل) ثم إلى وادي الفرات». وحذر «الذين يوفرون المأوى للإرهابيين بالتوقف عن ذلك، وطرد الإرهابيين، وإلا فإننا سنقطع أيديهم وألسنتهم ورؤوسهم كما فعلنا في تلغفر». وأضاف: «نقول للذين في الرمادي وسامراء وراوة والقائم إننا قادمون. ولن يكون للإرهابيين والمجرمين ومصاصي الدماء من ملاذ». وأوضح أن ١٧ كتيبة عراقية تشارك في الهجوم تدعمها ثلاث كتائب أمريكية. وسنرى لاحقاً من هم هؤلاء الإرهابيون الذين يطاردهم وزير الدفاع.

وبتاريخ ١٣/١١/٢٠٠٥ أعلن وزير الدفاع العراقي سعدون الدليمي في مؤتمر صحفي عقده في مقر وزارة الدفاع عن نية القوات العراقية والاحتلال الأمريكي شنّ حملة عسكرية واسعة النطاق على عدد من المناطق العراقية، بعد عيد الفطر المبارك مباشرة، متوّعداً في الوقت نفسه بهدم كل منزل يأوي أي «إرهابي»، على رؤوس نساؤه وأطفاله، على حد قوله. وقال إن القطعات العراقية ستقوم بحملة أمنية واسعة النطاق على القرى والقصبات التي لا تزال تأوي من وصفهم بالإرهابيين، معتبراً ذلك تهديداً و«إنذاراً نهائياً»، وفقاً لتعبيره.

من جرائم القوات الأمريكية

● في يوم الأحد المصادف ٧/٨/٢٠٠٥ قامت قوة أمريكية باعتقال الشيخ سعد عبد الكريم الربيعي عضو هيئة علماء المسلمين وخطيب جامع السلام في منطقة اليوسفية، وقامت بقتل نجله مصطفى، وذلك بعد مدهامة المنزل. وتأتي هذه الجريمة في سلسلة حملة الاغتيالات التي تستهدف أعضاء الهيئة في محاولة للضغط عليها وثنيتها عن موقفها الرافض للاحتلال.

● وفي اليوم نفسه في حي الوحدة في محافظة الموصل، قامت القوات الأمريكية باستهداف المنازل السكنية، حيث جعلت ذلك الحي مسرحاً لعملياتها العسكرية، وشنت اعتداءاتها على

المدنيين، وذلك عندما فتحت طائرات الأباتشي نيران مدافعها الرشاشة باتجاه الحي والمنازل، ما أوقع خسائر بشرية ومادية من دون أي سبب يذكر لهذه العملية.

● بتاريخ ١٠/٨/٢٠٠٥ أقدمت القوات الأمريكية على قتل ثلاثة أشخاص في حي الميثاق في مدينة الموصل عندما كانوا يسيرون بسيارة بيك أب في الشارع العام، إذ قامت إحدى المدرعات من نوع «سترايكر» بدهس السيارة والصعود فوقها وتحطيمها بالكامل وقتل من بداخلها، ولم تسمح لأحد بالاقتراب من مكان الحادث حيث قاموا بتسليم الجثث إلى الطب العدلي.

إنَّ أخطر ما ارتكبته قوَّات الاحتلال هي أنها حوَّلت وحدات الجيش العراقي المنشأة حديثاً من جيش يفترض أن يدافع عن البلاد إلى جيش يوجّه بنادقه إلى صدور أبناء البلاد.

● في يوم الجمعة المصادف ١٢/٨/٢٠٠٥ قامت القوات الأمريكية بارتكاب مجزرة جديدة في مدينة الرمادي بحق أكثر من ٤٠ مصلياً عندما فتحت نيرانها من دبابة كانت واقفة الى جانب جامع السجارية لدى خروج المصلين من باب الجامع بعد صلاة الجمعة، إذ كان كل جندي يطلق النار لمدة ٣ دقائق ومن دون وجود أي سبب للشك في أن المستهدفين ليسوا مدنيين عزلاً.

● في مساء يوم الجمعة ١٢/٨/٢٠٠٥ ولدى مرور رتل عسكري للقوات الأمريكية بالقرب من جامع زيناوة في حي القادسية في مدينة الموصل، أطلقت إحدى المدرعات الأمريكية نيران أسلحتها باتجاه المسجد عندما كان المصلون في داخله يؤدون الصلاة. وقد أصيب أحد المارة في الشارع بجروح خطيرة أدت إلى إعاقة بصورة كاملة، علماً أن القوات الأمريكية لم تتعرض لأي إطلاق نار يستوجب فتحها لإطلاق النار العشوائي.

● بتاريخ ١٥/٨/٢٠٠٥ قامت القوات الأمريكية بإطلاق النار العشوائي على مدنيين قرب كراج العلاوي لنقل المسافرين في بغداد، ما أدى إلى إصابة أكثر من عشرين عراقياً بنيران قوات الاحتلال، والادعاء بعد ذلك بأن ما جرى كان خطأ.

● في فجر يوم ٢٣/٩/٢٠٠٥ قامت القوات الأمريكية بقتل عميد ركن سابق في الجيش العراقي يدعى جبار عطية سعود الجبوري، وهو عضو المجلس البلدي لناحية الضلوعية التابعة لمحافظة صلاح الدين (شمال بغداد)، وجاره النقيب في الشرطة عامر يوسف عبدالله، وذلك بعد دهم منزليهما. وقال مصدر في الشرطة العراقية طلب عدم الكشف عن اسمه إن الدورية الأمريكية عند مهاجمتها دارئ الضحيتين، وبعد فترة من التحقيق فيهما، طلبت من الشرطة الحضور لكونها قد قتلت إرهابيين، ففوجئت الشرطة بالضحيتين وقد ذبحا بالة حادة، وإلى جانبيهما أكياس طبية، علماً أن الضحية الأولى كان قد أفرج عنه قبل أيام بعد اعتقاله في معتقل أم قصر لمدة سنة كاملة □